هل الحديث عن تشكيل قوة مسيحية مسلحة هو كلام بمستوى المسؤولية؟

ناصر

ان نتظاهر سلميا، أو نطالب ممثلينا في البرلمان باتخاذ موقف احتجاجي أزاء تقصير الحكومة كالقيام بإعتصام او إعلان مقاطعة الجلسات البرلمانية أو تعليق عضويتهم، فهي مطالب وردود أفعال اقرب الى ما يتناسب ووضعنا بإمكانياته المتلحة في خضم مجمل ما يدور، أما الكلام عن تشكيل قوة مسلحة من الكلدواشوريين السريان المسيحيين لحماية أنفسهم وممتلكاتهم وكنائسهم فهي ظاهرة لافتة للإنتباه بسبب تكرار إثارتها إعلاميا بين فترة واخرى كلما حلت كارثة بأبناء شعبنا كتفجير كنيسة او سيارة نقل طلبة او تفخيخ المساكن وما الى ذلك من جرائم كالتي حصلت في مجزرة كنيسة سيدة النجاة وتفجير البيوت فوق رؤوس ساكنيها في بغداد.

إن الذي يرى أو يعتقد بأن إثارة فكرة تشكيل قوة مسلحة بهذا الشكل وبالطن ستعود بالنفع والفائدة على شعبنا فهو واهم لأنه بالأساس قد أخطأ في إثارتها علنيا "إن لم يكن متقصدا في الجهار بها" دون اجراء دراسة مسبقة حولها، أما إن كان أحدهم يثيرها بعفوية كردة فعل معلنة فتلك بالتأكيد ستكون أحد اسباب رفضها وفشلها كما اسلفنا والسبب واضح، وحتى لو إفترضنا إتمام تحقيق تهيئة الفكرة وبلورتها داخليا، فأمامها من التعقيدات الواجب أخذها بنظر الاعتبار لما تتطلبه من جهد وتشكله من عبء على كاهل اهلنا، فهي على الاقل تتطلب جهدا عسكريا لإدارتها اولا ثم تمويلها بالمال والسلاح والبشر، ناهيك عن فرضية موافقة الحكومة "او من يرعى الحكومة" على ممارسة دورمثل هذه التشكيلات في المدن الكبرى التي يتواجد فيها ابناء شعبنا وكنائسهم ومحلاتهم، وهو امر ايضا خاضع للسين جيم وتحيط به الكثير من الشكوك.

نقول أن الذي يستطيع قراءة الوضع العراقي الشائك أو على الأقل يمتلك قدرة التفكير بطريقة عسكرية راقية تمكنه من ربطها بخيوط السياسة المتشابكة، سيجد بأن في الفكرة الكثيرمن الشكوك والملابسات التي تضفي على مثيريها حالة من جهل الامور إن لم نقل التشكيك في نوايا أصحابها، ناهيك عن العوائق والموانع التي ستصادف مدبريها حتى وإن كانت النوايا حميدة، و لو تدارس المرء بعقل وروية حيثيات الفكرة والمتعلقات السياسية التي تكتنف المشهد العراقي برمته، سيجد أن في فكرة تشكيل القوة المسلحة في هذا الظرف العصيب الكثير من عناصر توريط شعبنا في مغامرات هوليودية شبه انتحارية لا أحد يعرف عقباها لا سياسيا ولا امنيا، نحن لا نعني في كلامنا هذا أن حال شعبنا اليوم بخير ولا يحق لنا البحث عن بدائل واساليب تخفف من وطأة ما يحل به، بل ما يعنينا هو الانطلاق من الواقع والتعاطي معه بمنطق وعقل، نعم قد خسرنا الكثير من أرواح اهالينا الابرياء بسبب فوضى الاوضاع وتقصير الحكومة، والأكثر إيلاما تفاقم ظاهرة الهجرة خلال سنوات ما بعد سقوط النظام السابق، وهي أي ظاهرة الهجرة والتهجير الداخلي الحاصل بحق ابناء شعبنا هي لمن الخطورة بالحجم الذي يستدعي بحثها وإيجاد الحلول الوطنية لها، أما تعقيدها أكثر بفكرة تشكيل ميلشيات مسلحة فهذا ما لا طاقة لشعبنا به، بل نؤكد بان من صلب واجبات ممثلينا في البرلمان هوإثارة المأساة بقوة ومطالبة المسؤولين العراقيين والدوليين لوضع خطط امنية وطنية حقيقية تحفز وتشجع أهلنا على البقاء في أماكنهم، كيف يتم ذلك؟ مؤكد ان لا احد يدعي ان هناك من يمتلك العصا السحرية، وهذا ما سبق وأكدنا عليه في رسالة سابقة وجهت الى ممثلينا في البرلمان والى قيادة الحركة الديمقراطية الاشورية بالتحديد، طالبناهم بوجوب التأكيد على هذه النقطة الحساسة والسعي الى توحيد خطاب يمكننا من معالجة ما يمكن معالجته من اجل تقليل الخسائر ومحاولة تخفيف حدة الهجرة والأليات التي يمكن ان تؤدي الغرض على المدى القريب والبعيد..

في قولنا بأن تبني فكرة تشكيل قوة شبابية مسلحة هو أمر يفرض علينا الحذر والتأني حتى في الكلام حوله، هذا لا يعني أننا نقلل من قدرات شبابنا او قصورهم وعجزهم في تأدية واجباتهم تجاه اهاليهم، بل يستوجب عدم القفز في لحظات الانفعال باتجاه ما هو أسوأ وأكثر تعقيدا للأمور، وما لدينا من أمثلة وحالات أبدع فيها الشباب في توفير حماية وامن قراهم بفعاليات وامكانات شبه ذاتية خير دليل في تأكيد تسخير جهودهم الذاتية فقط في حماية مناطقهم في غياب سلطات الامن والشرطة.

نعم هناك من سيعاتب اليوم وينتقد أبناء شعبنا كونهم كانوا يوما في مقدمة الثوار في كفاحهم المسلح مع كافة العراقيين أيام الحركة الكردية المسلحة طيلة النصف الثاني من القرن المنصرم، بينما اليوم يصيبهم كما يصفهم أحدنا ما اصابهم من تنصل عن أداء واجباتهم تجاه ابناء شعبهم المهددين بالموت والأختطاف والتهجير من أماكنهم. مثل هذا العتاب وارد بالرغم من أحقية صاحبه في طرحه لكنه بقدر ما هو عاطفي فهو يفتقد الى مراعاة الوضع السياسي في العراق ويتغافل عن أهمية عامل الجغرافية وعلاقات الجهات السياسية فيما بينها ومواقفها المتذبذبة تجاه ما يجري لابناء شعبنا، إذن حين يراد التحدث عن فكرة التسليح يفترض أن تؤخذ هذه العوامل بنظر الإعتبار كمعيار الحكم في إقرار إمكانية تشكيل مثل هذه القوة من عدمها.

كي لانكون في طرح راينا موغلين في الحط من قدرات سياسيينا وعجزهم عن إدارة أزماتنا، لكننا نقولها بكل صراحة أن حال ساستنا لا يحسد وعلاقاتهم الداخلية ما تزال تراوح عند عتبة التراشقات، وتلك لعمري مسألة من الاهمية بدرجة تستدعي الى لقاءات وحوارات تقود الى الخروج بخطاب فاعل ومؤثرفي معقولية المطالبة التي تعنى بأوضاع أهلنا وتحمي وجودهم كي يتم قبولها عند عرضها بقوة أمام البرلمان كي يتم ترحيلها وتوجيهها الى الحكومة الجديدة للايعاز بتشكيل لجنة مركزية خاصة تتفرع منها لجان محافظات محلية تعني في وضع خطة شاملة لتحسين أمور ابناء شعبنا، على سبيل المثال وليس الحصر:

1- تشجيع أهالينا وخلق محفزات تشجع عودة الذين أجبرتهم الاوضاع المضطربة الى تغيير محلات سكناهم داخل العراق.

2- تهيئة برنامج يدعمه توفير الأمن ورصد الأموال لتشجيع أهلنا المتواجدين خارج حدود العراق للعودة الى أماكنهم ووظائفهم بعد ضمان تعويضهم المجزي بما تسبب جراء مغادرتهم القسرية.

3- بإيعاز من مجلس النواب، مطالبة الحكومة بتشكيل لجنة مختصة في كل محافظة او قضاء يتواجد او كان يتواجد أهلنا في حدودها الادارية، تكون مهمة هذه اللجنة وضع خطط استراتيجية ضمن المحافظة تكون مهمتها التشديد على تنظيم طريقة منصفة ومجزية لاستقبال العائد، كإعادة ممتلكاته له وتوفير المال الكافي له كي يستطيع تمشية اموره لحين عودته الى عمله او ايجاد فرصة عمل تناسبه.

4- وضمن المحافظة ايضا، يتوجب على اللجنة المختصة وبالتنسيق مع المحافظة، وضع خطط وقوانين لتسهيل وتشجيع عملية إستقطاب اموال أهلنا المغتربين وإستثمارها في بناء و تطوير واقع قرانا ومدننا من كافة النواحي، كبناء المعامل والمدارس والنوادي الثقافية وبناء المسارح والمرافق السياحية وتطوير المواقع الأثرية.

5- ما تم البدء به في بناء جامعة في برطلة، هو نموذج يفترض ان يتم تعميمه في اماكن أخرى، فمثلا في سهل القوش او تللسقف هناك إمكانية وظروف طبيعية مشجعة على بناء كلية زراعة و قسم للطب بيطري وليكن معهدا، لان المنطقة و بحكم كونها زراعية بحته فهناك إمكانية تشجيع بناء حقول تربية الدواجن و المواشي والابقار ومعمل تصنيع الحليب وتوفير منتجاته للإستهلاك المحلي او على مستوى المحافظة.

6- إنشاء فروع مصرفية صغيرة في نواحي واقضية مناطق تواجدنا ثم إطلاق القروض المالية لدعم المواطن الكلدواشوري السرياني المسيحي في الشروع للمساهمة في خلق البنى الاقتصادية الذاتية التي ستوفر بدورها فرص العمل الكثيرة والتي ستعكس حالة من الاستقرار المعاشي الذي سيحد من التفكير بمغادرة الأرض.

7- ومن ضمن مهام اللجنة المذكورة أعلاه، حث المسؤولين في المحافظة والوزارات المعنية على تشجيع شبابنا في القرى على الإنخراط في مؤسسات القوات المسلحة كالجيش والشرطة وأجهزة الأمن الوطنية معتمدين مسيرة الشاب وتحصيله العلمي في قبوله وليس بتزكية حزبية من اي جهة كانت، طبعا على المدى القريب هذا سيضمن تهيئة الملاك المحلي في إدارة شؤون منطقته أمنيا، اي ان المواطن سيشعر بان الدولة هي فعلا مهتمة به وما عليه الا ان يؤدي واجبه الوطني ليس اقل من غير إخلاصا، علما بان ابناء شعبنا معروفون بمدى ولائهم التاريخي وحبهم وإخلاصهم لوطنهم الأم العراق.

8- مادام العراق في مرحلة إعادة البناء، فالكثير من المنظمات والجمعيات الخيرية الدولية قد بادرت منذ سنوات الى المساهمة في اموالها وخبراتها في تطوير بعض المناطق لكن بشكل مبعثر، مما يتطلب من هذه اللجنة المختصة حث هذه المنظمات على رصد المزيد من إمكانياتها المالية والخبراتية من اجل تطوير الشوارع وتشجير المناطق بأحزمة خضراء تعطي للطبيعة رونقا من النقاء والجمال الذي يبعث في النفس التفاؤل وحب الحياة.

9- تشريع قانون خاص يفسح المجال لأي مواطن له قدرة التنافس على تقديم أطروحة او دراسة من شأنها ان تطور واقع حال بلدته ومجتمعه، ولتكن منظمات المجتمع المدني هي الجهة المخولة في تنظيم وبرمجة هذا العمل ولتكن هي حلقة الوصل مع الجهات التنفيذية سواء في مكافأة المبدعين او في متابعة إنجاز الدراسة والبحث الذي يقدمه المبدع.

10- كي تستطيع الجمعيات الثقافية والاجتماعية والنوادي الرياضية من ممارسة نشاطاتها بعيدا عن اي تداخل سياسي تتداخل صراعاته في نشاطها، على الحكومة ان ترصد لهذه المؤسسات الصغيرة منح سنوية او تجهيزات تساعدها على تمشية أمورها وممارسة نشاطاتها بشكل مهني مستقل وحر.

11- من مهام هذه اللجنة ايضا، حث الجهات الخدمية والتعليمية والصحية على فتح دورات تدريبية فنية قصيرة لتخريج ملاكات متوسطة تشغل وظائف وشواغر خدمية متوسطة.

12- وقبل أن نختتم كلامنا نقول، لابد من الاشارة الى ما تعكسه السياسات وارهاصاتها من ظاهرة قضم الاراضي ومساعي تغيير ديمغرافيات القرى والمدن وبسط نفوذ المرجعيات والأحزاب من خارج حد ومكونات أهالي هذه القرى، مما يتوجب فرض وتشريع قوانين مراقبة ومحاسبة من شأنها أن تحد من هذه المظاهر والممارسات حفاظا على خصوصيات المنطقة وتاريخ تواجد ابنائها فيها.

13- يبقى ان نقول في مسك خاتمة كلامنا، إن كانت الحكومة المركزية صادقة في كلامها ووعدها بحماية المسيحيين من الكلدواشوريين السريان وتشجيعهم على البقاء والعيش بأمان، فما ذكرناه أعلاه يشكل القليل من الكثير الذي يتوجب قوله والمطالبة به، لذا توجه كلامنا الأخوي وبالدرجة الأساس الى سيادة محافظ نينوى المحترم وقائمقامية ومدراء النواحي المحترمين:

نقول لكم يا سادة، أن على عاتقكم تقع مهمة الحفاظ على اهلكم وابناء وطنكم، ونحن لا نطالب بالمستحيل، لم نطالبكم بتعيين محافظ من اهالي تللسقف، ولن نطالبكم بترشيح القوشي لرئاسة الجمهورية كإستحقاق وطني، بل نطالبكم بتهيئة الظروف لضمان العيش الهادئ لهذه الشريحة المنكوبة ومعها بقية الشرائح الصغيرة الاخرى التي لا تقل معاناتها عن معاناة اخوانهم وجيرانهم الكلدواشوريين المسيحيين وشكرا لكم.

الوطن والشعب من وراء القصد.

آفاق النجاة... بشفاعة سيدة النجاة

المونسنيور بيوس قاشا

مذبحة الكرادة... مذبحة كنيسة سيدة النجاة... ما أبشعها... جريمة مروعة... مخجلة... بل هي وصمة عار... راح ضحيتها أبوان في ربيع الكهنوت... أطفال صغار... شباب... نساء ورجال... هؤلاء كلهم سقطوا قتلى وجرحى، ولم يخجل السفاحون من جرائمهم، كما لم يدركوا أنهم شوّهوا صورتهم _هم والذين خططوا لها _ فأصبحوا وحوشاً مفترسة، غرزوا أنيابهم في أجسادٍ بريئة عبر أسلحتهم الكاسرة.

• لم يسجل التاريخ مثل هذه المذبحة إلا ما حصل في منتصف الجيل الثاني من القرن العشرين... إنها إبادة جماعية، سجلها التاريخ عبر صفحاته السوداء، وكان حطبها أناس أبرياء، قصدوا كنيستهم من أجل إقامة شعائرهم المقدسة، بل أقدس الشعائر... قداسهم الإلهي الأحدي... فكانوا مع مسيحهم ذبيحة ومذبحا.

• في هذه المذبحة ظهر نمط عنفي غريب... عنف لم تختبره مجتمعاتنا الحديثة... عنف الحرب الأهلية من أجل مصالح أنانية، فيها كان تلاميذ المسيح هم الحملان الذبيحة، كما كان المسيح هو الحَمَل الذبيح، الذي افتدى العالم بدمه، وهو الذي قال لتلاميذه إن مصيرهم لن يكون أفضل حالا من مصيره "ستأتي ساعة يظنّ فيها كل مَن يقتلكم أنه يقرب لله قربانا" (يو ١٦: ٢).

• ضحايا مذبحة سيدة النجاة، هم شهداء، يكفيهم أنهم كانوا في لقاء ربّهم، ودماؤهم غفرت ما كان يجب أن يتمّ، والأحياء الذين رافقوهم بصلواتهم ودموعهم استشهدوا معهم كونهم عاشوا الجحيم، غير فاقدين رجاءهم. فكانوا مع الشهداء شهداء، وها هم الأحياء شهداء، كون الشهادة رسالة الحقيقة.

•مذبحة سيدة النجاة ستُدرج حروفها ضمن رسائل الزمن، وأبجديات التاريخ، لتعلن للملأ أن لغة الجرائم ما هي إلا وجود الشرّ وتأصّله في القلب الذي باع القيم وإنسانية الله وصورته، ولكن مهما أمعن الشرّ في حياة البارّ سيبقى الرجاء درع الخلاص، وطوبى لمَن يثبت إلى المنتهى.

• مذبحة سيدة النجاة تعلّمنا أن الدماء التي سُفكت لن تكون إلا نبع سلام وتآخٍ... رسالة محبة وإخاء... وما المسيحية في ذلك إلا مصدر اعتزاز وفخر، فهي تحمل رسالة الحب، قيمته فداء وغفران وشفاعة... إنها كما قال قداسة البابا بندكتس السادس عشر: "ستكون التضحية بذرة سلام وولادة جديدة".

• وأختم كلمتي بما قاله ملفاننا السرياني مار أفرام: "هيئ نفسك أيها الأخ لتلك الرحلة، لأن أمر الرحيل رهيب... والويل لمن لا يكون جاهزاً". فما حصل يدعونا أن نكون أمناء أوفياء... إنها آفاق النجاة بشفاعة سيدة النجاة... لا بل سيدة الشهداء... وأنحني إجلالاً لأرواح شهداء كنيسة سيدة النجاة.

واحات

عدنان الحسني

annajar44@yahoo.com

علم وعلماء

طالما نسمع عبارة عصر الفضاء وبحق فإن عصرنا الحاضر يستحق ان يطلق عليه عصر الفضاء إذ ان التكنلوجيا الصناعة تتطور حسب مفهوم تطور تكنلوجيا المعلومات وما وصلت إليه العلوم في شتى مجالاتها الا دليل واضح على اهمية ترابط المعلومة بالتطور والعكس صحيح...

لقد انبرى الغرب في العصر الحديث الى الاهتمام بعلم الفضاء والذي يطلق عليه الفلك أيضاً واستطاعوا المضي فيه الى أبعد المراحل حتى انهم كرسوا أنفسهم ووضعوا جل امكاناتهم المادية لخدمة هذا العلم حيث ادركوا ان هذا العلم هو الاساس في السيطرة على باقي العلوم لما له من اهمية في الاكتشافات والاختراعات وقد افردوا مؤسسات ذات موارد ودعومات مالية هائلة كي يتسنى لتلك المؤسسات الاهتمام والتطوير بكل فروع علوم الفضاء، حتى اصبحت هذه المؤسسات متفوقة في الامكانات الى الحد الذي تصل فيه ميزانياتها الى التفوق على امكانات بعض الدول واستطاع هؤلاء من بناء المحطات الفضائية خارج الارض وانشأوا مشاريع طويلة الامد وصل الحد ببعضها الى ان يصل عمر المشروع فيها الى ما يفوق عشرات السنين من بين كل تلك المشاريع تظهر بعضها وقد ابتدأت ولم تنه بعد...

ما بين استكشاف للفضاء الخارجي ودراسة الارض واستبيان حالات المناخ واستقراء الافلاك في مداراتها وما لذلك من تأثير على الانواء ترى هل فكر البعض في ان ذلك العلم كان تطوره تصاعديا في بلادنا العربية حتى ان قياس المسافات بين الارض وبعض الكواكب قد تم على يد علمائنا بالرغم من عدم تطور الامكانات الصناعية وما ينتج عنها من تطور لاجهزة الرصد فهي أسماء قد عرفها الغرب قبل العرب فالبتاني العالم العربي معروف هناك واذا سألت عنه اهل التخصص اعطوك التفاصيل والانجازات حتى ذهب البعض منهم الى القول بانه سبق الكثيرين من علماء الفلك في تحديد تلك الابعاد والمسارات...

فهل سيأتي يوم ويكون هذا العلم لدينا كما نشأ في تلك الازمنة... وهل سيكون لدينا بتاني وابن سينا وفزاري واخرون من اولئك العلماء...

مجتمعاتنا تزحف نحو سراديب معتمة

أ.د. سيار الجميل

كل يوم يمضي علينا نشهد فصلاً مأساويًا جديدًا.. كل زمن يتقدم بنا نحو الأمام، ومجتمعاتنا تزحف نحو الوراء! عندما كنا نعاني من ديكتاتورية زعيم، أو تسلط حكومة، أو شراسة دولة.. فإننا اليوم نعيش تفكك مجتمع، وقد تشظت العلاقات فيه.. ولم نرث من التاريخ إلا أسوأ صفحاته! لقد كانت مجتمعاتنا تتميز بالتنوع والتعدد سواء في الأديان أو المذاهب أو الأعراق أو الثقافات مع اجتذاب الجاليات، وتجد فيها كل ألوان الطيف.. كانت متعايشة متماسكة، ولو لم تكن كذلك لما بقيت معا طوال هذا الزمن الذي صادفت فيه كل أنواع التحديات، وعانت من خلاله كل المآسي والكوارث والنكبات التي فرضها الآخرون عليها.

اليوم ولأول مرة أجد الصورة تتغير في مجتمعاتنا العربية التي تسير نحو سراديب معتمة.. والتغيير أجده خطيرا، لا يمكن أن يتخيله صاحب عقل وتفكير ومنطق.. اليوم تتفجر حصوننا من داخلها لأسباب أجدها تافهة جدًا، ويراها غيري مهمة جدًا كونه سيقضي فيها على الأعداء.. إن التفسخات التي تعاني منها مجتمعاتنا اليوم، والتي كنت قد حللت مع غيري من الكتاب والمختصين بعض مخاطرها.. ستنتج نتائج وخيمة على أجيالنا القادمة.

لماذا الانتزاع بعد كل هذا التاريخ؟

إنني لا أتخيل هؤلاء الذين يحملون رايات التكفير والتطهير، ويستخدمون كل وسائل الدمار والتنكيل.. ما الذي يريدون الوصول إليه؟ ولماذا اكتشفوا فقط الآن أن المسيحيين هم خطر على الإسلام والمسلمين؟ ولماذا يلتزمون نصًا معينًا، ويتركون جملة كبيرة من النصوص والعهود والمواثيق التي سنّت ووقّعت بين المسلمين والمسيحيين منذ اللحظات الأولى لولادة الإسلام؟ وإذا كان المسيحيون العرب في أي بلد من بلداننا هم المادة الأولى لهذه الأرض، وأنه المواطن رقم واحد في كل من مصر والعراق وبلاد الشام وغيرها، فكيف يمكن للآخرين أن ينتزعوا هذا الحق الشرعي والتاريخي منه؟ وبأي شرع أو قانون أو نص ديني أو إلهي.. يمكن للبعض من المعتوهين أن يحاول اجتثاث هؤلاء عن أرضهم وانتزاع هويتهم باسم الإسلام؟

يقول الصديق حازم صاغية في مقالة ذكية له في جريدة الحياة قبل أيام: "جريمة الكنيسة العراقية الأخيرة التي ارتكبها مقاومون أصوليون دليل على الانسحاب من العروبة.. ولأنها ليست الجريمة الأولى من نوعها، ولأنّ مثيلات لها سبقتها في العراق وفي غير العراق، جاز القول أنه انسحاب كثيف وعميق، لا هامشيّ ولا عَرَضيّ..! نعم.. لقد تم الانسحاب من العروبة التي أصبحت عنوانًا تافهًا في أدمغة ليس من لم ينتم إليها، بل حتى من أولئك الذين لبسوا لباس الدين، وحاربوها حربا شعواء، بل اتهموا كل من نشر فكرها وثقافتها وتراثها تهما ظالمة، ونحن نعلم كم كان دور المسيحيين العرب كبيرًا في ذلك، قبل أن يغدو بعض السياسيين والمفكرين العرب المسيحيين من مروجي الأيديولوجية القومية العربية الثورية التي انتكست انتكاسات مريرة بسبب الأساليب الشوفينية التي استخدمتها متطفلة على كل أفكار النازية والفاشية في أوروبا القرن العشرين".

إنني أتفق مع الأخ صاغية أن "التحويل هذا كان أولى عمليات الطرد النظري والرمزي التي واجهت الأقليات، وفيما خصّ المسيحيين تحديدًا، تسهل المقارنة بين موقعهم في العروبة الثقافية.. وبين موقعهم في العروبة السياسية".. ويمكنني أن أضيف أن شناعات الأصوليين في القتل الرخيص للإنسان لم يجد حتى الآن من يوقفه عند حدّه، كونه يجد بيئة خصبة للنمو، أو يحيا بكل خلاياه في نسيج يؤهله على فعل تلك الشناعات القاتلة.. إنها مشكلة حقيقية عالجها بكل جرأة الصديق عبدالله كمال قبل أيام في بعض مقالاته بجريدة "روزاليوسف" معالجة متميزة عندما كشف أن نسيج الأحزاب والجماعات الإسلامية وعلى رأسهم الإخوان المسلمون، يشترك أغلبها في تأييد ما يحدث، بل يتم الربط بين ما هو أمريكي خارجي وبين ما هو حكومي داخلي.. من الناحية السياسية، وهنا أضيف أن الربط يتم أيضًا بين من هو مسيحي عربي مهما كانت جنسيته العربية وبين ذلك المحتل الخارجي كونهما يمثلان "الصليبية" (كذا)! وأضيف بأن بعض الكتاب التافهين الجدد الذين خرجوا علينا بكل فجاجتهم في السنوات الأخيرة يقدمون موضوعاتهم بتشويه متعمد وتزوير مقصود.. فيجعلون الصراع الحاصل والقتل المباح هو حصيلة إرث دموي من الصراع الديني بين المسلمين والمسيحيين امتد منذ ١٤٠٠ سنة، وهذا لم يحدث أبدًا كما سأثبته قريبًا ومن خلال المصادر الكنسية والمسيحية بالذات.

الرؤى الأساسية الثلاث

نحن أمام ثلاث رؤى إذن.. فماذا نقول إزاء كل رؤية من هذه الرؤى؟

أولاً: نعم، نحن أمام هجمة تاريخية مجهولة الهوية، وقوية البنية، وذكية المنهج في استئصال المسيحيين من بيئاتهم وأوطانهم الأصلية.. وسحق إرادتهم بقتلهم، وتهجيرهم، وهدم كنائسهم بأساليب شنيعة لا يمكن أن يقبلها أي إنسان يمتلك ضميرا حيا، وإذا كانت العروبة السياسية التي أسميتها بالفكر القومي هي الإيديولوجية القومية التي يتهم المسيحيون بقيادتها قد انتهت لسوء الممارسة التي زاولتها على امتداد خمسين سنة، فإن الإسلام السياسي الذي يجتاح عالمنا اليوم إيديولوجية ناقمة ومعادية ليس للغرب فحسب، بل حتى للمجتمع الذي يأويه، وقد عبث به الإسلاميون سواء الذين كانوا خارج السلطة أم الذين تولوا السلطة، ولكنه ظاهرة سترحل وتزول، وستحتاج إلى زمن لا يقل عن ثلاثين عاما قادمة!

ثانيًا: نحن أمام أحزاب وجماعات دينية في بلداننا العربية والإسلامية.. ربما تأتي إدانتها للإرهاب وعمليات القاعدة شكلية على استحياء، ولكنها لم تقف وقفة بطولية وإنسانية لما يجرى على يد الأصوليين والإرهابيين الذين لهم أجندتهم وأهدافهم وإيديولوجياتهم الدموية.. وهم ممولون من بلدان وحكومات معينة لتنفيذ خططهم التي تحولت أهدافها السياسية من ضرب الحكومات إلى تمزيق المجتمعات. إن الإرهاب إن لم يقف كل المجتمع ضده، مهما كانت أشكاله وصوره ومضامينه.. فليس باستطاعتنا فعل أي شيء لإيقافه.. إن مجرد وجود حكومات تسيطر عليها أحزاب دينية، فالمنطق يقول أن العقيدة الدينية ستأكل أية نزعة وطنية أو إنسانية وستقف ضد القانون.. كالذي نشهده اليوم بشكل سافر في العراق مثلا!

ثالثًا: نحن أمام قوى وجماعات ونخب تمتلك زمام الإعلام، وتشارك في بث أخبار وكتابات وخطابات وتحليلات لا تمت للحقائق بصلة.. بل إنها تستغل الأحداث المأساوية لتوظفها سياسيا وإيديولوجيا وطائفيا.. فهم بمثل هذه الأعمال يساعدون الإرهاب لتأدية وظائفه من ناحية، ويقدمون الفتن الجاهزة على طبق من ذهب لأصحاب القرار لضرب الوحدة الاجتماعية والوطنية التي يألفها الجميع. إن العصر وأدواته الإعلامية والسياسية قد سمح لكل من هب ودب أن يطلق الأحكام جزافا، وأن يتكلم حسب ما يريد أو ما يراد له من دون أي معرفة، ولا أي تحقيق، ولا أي تدقيق.. فتجد الرأي العام تعصف به أفكار لا أساس لها من الواقع أبدًا! ومادامت البيانات والكتابات والمناهج وكل ما يصدر.. لا يستند في مرجعيته إلى الحقائق والعقل، فإن المجتمع سيغرق في الفتن والمشكلات.. ولابد أن أقول: إن حياتنا الاجتماعية تشهد مثل هذه الأوضاع لأول مرة في تاريخها، إذ لم تمر مثل هكذا أحوال عليها في الماضي!

ما العمل؟

إن الهجمة التي تتعرض لها مجتمعاتنا ضارية جدا، وإن تحدياتها لم تجد حتى اليوم أية علاجات حقيقية وصارمة.. خصوصا أن أغلب مجتمعاتنا قد أصابها الصمم، وأنها انغلقت على ذهنية جامدة لا تريد أن تتحرك أبدا عنها، وأنها تتلاقح يوميا على إعلام مهيّج يثير الفتن والاحتقانات.. وأن أحزابا وجماعات وكتلا سياسية دوغمائية تلبست لبوس الدين، وانقضت على المجتمع انقضاضا خطيرا تحت لافتات وشعارات ولدتها ظروف العالم إثر ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما جرى من تداعيات في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣، إن الحكومات منشغلة بأمنها الداخلي أولا، والانقسامات الإيديولوجية التي ولدتها الطائفية ثانيا.. وابتعد المناخ العام عن الروح المدنية التي افتقدت في بلدان، وانكمشت في بلدان أخرى.. وفي ظل هكذا أوضاع مأساوية، تبلورت ظاهرة الإرهاب الخطيرة، وتقودها منظمة القاعدة التي لا يعرف عنها أية تفاصيل.. وقد ورثت جماعات أصولية اتبعت النهج نفسه سابقا، وهي جزء من ظاهرة أكبر لما فعلته منظمات إرهابية شهدنا ما الذي كانت تفعله في العالم على امتداد خمسين سنة مضت!

إننا أمام محنة كبرى إن لم يقم المجتمع برد فعل قوي ضدها، وستبقى الحكومات عاجزة أمام هذا الطغيان المدمر الذي سيجتاح عالمنا، إن الأجيال الجديدة إن لم تستبدل أذهانها لتقف إزاء هذه التحديات، فإن مجتمعاتنا ستنتقل من جحيم إلى آخر! إن الإعلام العربي الموجه إن لم يكن ذكيا ومبرمجا وهادئا وحضاريا في الوقوف إزاء هذه التحديات فهو سيبقى عاملا مساعدا لهذه الظاهرة الخطيرة أن تستفحل وتمتد في عبثها.. على الإعلام العربي ألا يتذرع بالمناخ الديمقراطي، وكأن القتلة والمجرمين لهم رأي يمكننا مجادلتهم أو الحوار معهم! على كل من يكتب ويخطب وينشر أن يفكر قليلا في حجم المأساة، وأن يتأكد من معلوماته! إننا بحاجة ماسة إلى النقاد والمدققين في كل ما ينشر ويذاع حتى يتبين للناس الخطأ من الصواب.. مطلوب من الجميع مسؤولين ومواطنين ومتحزبين.. أن يزرعوا روح المحبة والتسامح في أي مجتمع من مجتمعاتنا.. وأن يدينوا أي فعل دموي مشين إدانة فعلية غير متلكئة.. وأن يكون القانون المدني هو الحكم الفصل بعيدا عن إصدار الفتاوى أو توزيع البيانات أو نشر الخطب.. وليعلم الجميع أن السنين القادمة ستشهد فصولا مأساوية مريرة، خصوصا إن وصل أي حزب ديني أو طائفي إلى السلطة.. وستدخل مجتمعاتنا في سراديب مظلمة لا يعلم متى تخرج منها إلا الله!

نشرت في مجلة روز اليوسف المصرية، العدد ٤٣٠١ السبت ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٠.